

الإسلاميون يبيحون لتركيا تطبيعا يستنكرونه على الآخرين

المواقف المتناقضة من التطبيع تسقط قناع جماعات الإسلام السياسي



ديسمبر 2016.. أردوغان يتسلم أوراق اعتماد السفير الإسرائيلي إيتان نيه

قابل للتغيير وفق التطورات في المنطقة لأنه جاء بإملاءات قطرية تركية سارعت في التحشيد والتعبئة الإعلامية لتصفية حسابات إقليمية.

وبناء على ما تقدم يعتقد متابعون للشأن التونسي أن حركة النهضة سعت في إطار منهجية مدروسة إلى تخفيف لهجتها تجاه جيرانها المغاربة لعدم خلق قطعية مع حزب العدالة والتنمية المغربي الذي يقود الحكومة المغربية وتجمعها معه علاقة وثيقة، إلا أن ذلك لا يعتبر السبب الرئيسي بل إن تونس حسب تقارير إعلامية أميركية مرشحة بقوة لالتحاق بقطار السلام العربي - الإسرائيلي.

ولا يستبعد هؤلاء أن تخترط النهضة في التطبيع التونسي - الإسرائيلي بعد أن تنهيا الألفية المناسبة لذلك، على أن تقدم ذلك على أنه ضرورة لمواكبة التحولات الإقليمية وعدم البقاء خارج السرب. وبالإضافة إلى ذلك رفضت حركة النهضة الإسلامية (أكبر الكتل النيابية) التصويت لصالح مشروع قانون في البرلمان التونسي يجرم التطبيع مع إسرائيل ما أدى إلى إسقاطه، وهي مؤشرات صلبة تصب في اتجاه قطع النهضة مع المبادئ التي كانت ترفعها "نصرة" للقضية الفلسطينية.

ويؤشر هذا الرفض على تدهور الحركة الإسلامية مرحلة جديدة لا تتبنى القضية سوى بشكل ضبابي وشعاراتي منذ وصولها إلى الحكم في تونس. وكشفت صحيفة نيويورك تايمز الأميركية نقلا عن مسؤولين أميركيين قولهم إن تونس من الدول المرشحة لتوقيع اتفاق تطبيع مع إسرائيل بعد انضمام المغرب.

وأضاف المسؤولون أن "من الممكن أيضا أن تتوسع دائرة الدول لتشمل دولاً في آسيا وأفريقيا، حتى بعد مغادرة الرئيس الأميركي دونالد ترامب منصبه في يناير المقبل".

إسرائيل، خاصة في ظل الانتقادات الحادة التي واجه بها اتفاقات سلام أبرمتها الإمارات والبحرين، في وقت سابق. وعلق الغنوشي في حوار مع جريدة "الصباح" التونسية المحلية، على الاتفاق المغربي الإسرائيلي قائلاً "بخصوص المغرب الشقيق فنحن صدمنا من هذه الخطوة التي خرجت على الإجماع العربي بما عبرت عنه المبادرة العربية". ويرى محللون أن تباين مواقف الغنوشي من موضوع العلاقة بإسرائيل، "يعكس ازدواجية في المعايير، توضح أنه لا يتحرك من منطلقات مبدئية، بل بناء على مصالحه السياسية ومصالح جماعته".

ويتوجس الإسلاميون عموماً من مصالحة خليجية وشبكة بدأت معالمها تتبلور بقيادة السعودية قد يفقدون معها ملازمهم الأمن في الدوحة وهي أحد شروط الدول المقاطعة لعودة قطر إلى حاضنها المحلية. وفي صورة تحقق ذلك لن تبقى لهم سوى تركيا لاحتضانهم وهو عامل مهم يؤكد متابعون أنه من ضمن أبرز أسباب صمتهم عن التطبيع التركي وانخراطهم في حملة التشويه التي تقودها أنقرة ضد الدول المطبعة.

وتختلف مواقف الإسلاميين مما يعتبرونه الثوابت (القضية الفلسطينية مثلاً) وفق الأجداد والحسابات السياسية والموقع الجغرافي المتواجدين فيه إضافة إلى شبكة العلاقات التي يراد تحقيقها والأساليب المتبعة لبلوغ ذلك. ففي حالة إسلامي تونس، المتمثلين في حركة النهضة، ذات الفكر الإخواني، فإن تطبيع الإمارات مع إسرائيل يعتبر "اعتداءً صارخاً على حقوق الشعب الفلسطيني وخرقاً على الإجماع العربي والإسلامي الرسمي والشعبي ووقفاً مع الاستعمار الاستيطاني الصهيوني"، لكن عندما يتعلق الأمر بخطوة مماثلة من قبل الحلفاء (تركيا) فإن ذلك يدخل في باب "الضرورات تبيح المحظورات" وأما الجيران (المغرب) فإن اللمجة تكون أقل حدة وأقرب إلى المباركة منها إلى التبريق.

واعتبر زعيم حركة النهضة، راشد الغنوشي، أن اتفاق تطبيع العلاقات بين المملكة المغربية وإسرائيل "خروج على الإجماع العربي"، وأثارت لهجة الغنوشي الهائلة تجاه المغرب تساؤلات حول محددات موقفه من العلاقة مع

نفسها وبمواقفة تل أبيب، عاملاً أساسياً في صياغة المشهد السياسي والعسكري هناك، ووقوداً لتكريس انفصال غزة إدارياً وسياسياً عن باقي الأراضي الفلسطينية، ووسيلة لفض الاشتباكات التي تحدث من حين لآخر بين الجيش الإسرائيلي والجناح العسكري لحماس، وضامناً لتثبيت ما يتم التوصل إليه من اتفاقات على التهئة. ويتوجس الإسلاميون عموماً من مصالحة خليجية وشبكة بدأت معالمها تتبلور بقيادة السعودية قد يفقدون معها ملازمهم الأمن في الدوحة وهي أحد شروط الدول المقاطعة لعودة قطر إلى حاضنها المحلية. وفي صورة تحقق ذلك لن تبقى لهم سوى تركيا لاحتضانهم وهو عامل مهم يؤكد متابعون أنه من ضمن أبرز أسباب صمتهم عن التطبيع التركي وانخراطهم في حملة التشويه التي تقودها أنقرة ضد الدول المطبعة.

حالة بحالة

وتحولت تركيا عموماً بعد موجات الربيع العربي في دول عدة إلى قبلة لأنصار وقيادات حركات الإسلام السياسي وعلى رأسهم جماعة الإخوان المسلمين. وبعد إغلاق مكاتبها بدمشق في نوفمبر 2012، اختارت حركة حماس تركيا مقراً رئيسياً جديداً لها في الخارج. وبينما وجدت حماس في تركيا ملاذاً أمنياً لقياداتها، اعتبرت أنقرة الحركة بمثابة ورقة للمناورة وأداة للضغط ووسيلة لتحقيق المكاسب في علاقتها مع واشنطن وتل أبيب والاتحاد الأوروبي، فضلاً عن منافسة عدد من الدول العربية.

ويتساءل متابعون عن أسباب صمت حركة حماس على إعلان النوايا التركية التطبيعية، مرجحين أن ذلك يعني ربما أنها لم تفاجأ بالخطوة التطبيعية التركية، أو كانت على علم مسبق بها. وهناك سؤال آخر هو: هل يكون هذا التطبيع التركي - الإسرائيلي مقدمة، لتطبيع قطري - إسرائيلي أيضاً باعتبار أن قطر أكبر حلفاء أردوغان وحماس في المنطقة؟ وعلى إثر التحاق عدد من الدول العربية آخرها المغرب بقطار السلام العربي - الإسرائيلي كشفت مصادر أن قطر تتجه إلى إظهار عقود من الاتصالات السرية والعلنية مع إسرائيل باتفاق تطبيع العلاقات بين البلدين. وأكدت المصادر أنه "لن يكون مفاجئاً إعلان النظام القطري عن تطبيع العلاقات مع إسرائيل في الأسابيع المقبلة". وأضاف ذات المصادر، التي فضلت عدم الكشف عن اسمها، أن "إعلان تطبيع العلاقات بين قطر وإسرائيل ليس متعلقاً بما إذا كان سيتم؟ ولكن متى سيتم؟ والتقدير هو أن الأمر أصبح وشيكاً".

وكانت الأشهر الأخيرة قد شهدت حركة نشطة بين الدوحة وتل أبيب تحت غطاء بحث الأوضاع في قطاع غزة، حيث زار رئيس جهاز المخابرات الإسرائيلي "الموساد" يوسي كوهين، قطر أكثر من مرة في الأشهر الأخيرة بطائرات خاصة في رحلات جوية مباشرة بين تل أبيب والدوحة. وتعلم حركة حماس، ذات المرجعية الإخوانية، جيداً أن الدوحة تجمعها علاقات مميزة تجاوزت التنسيق الأمني إلى التنسيق السياسي مع إسرائيل وأن لدى تل أبيب مكتسبات للعلاقات في الدوحة يعمل منذ سنوات، لكن المال القطري المتدفق على القطاع يرتب أولويات قيادات حماس هناك. وأصبحت حقائب المال القطري التي تدخل إلى القطاع عبر إسرائيل

لم يستغرب المتابعون للشأن التركي تصريحات الرئيس رجب طيب أردوغان التي عبر فيها عن استعداده لتعزيز العلاقات مع إسرائيل وإعادتها إلى ما كانت عليه سابقاً. فالمتغيرات الإقليمية التي بدأت مع انطلاق قطار السلام العربي - الإسرائيلي تذر بتقويض نفوذ بلاده في المنطقة، إلا أن صمت الإسلاميين على الاندفاع التركية صوب إسرائيل مقابل مهاجمة دول عربية انخرطت في مسار التطبيع يكشف ازدواجية هذه التيارات التي تعتبر الخطوة محرمة على خصومها ومباحة لأصدقائها وحواضنها.

القاهرة - لا يحتاج اكتشاف متاجرة الرئيس التركي رجب طيب أردوغان بالقضية الفلسطينية إلى تصريحه بشأن استعداده لتعزيز العلاقات مع إسرائيل والعودة بها إلى ما كانت عليه سابقاً، فتركيا في عهد حزب العدالة والتنمية كانت سبّاقة في التطبيع مع تل أبيب، لكن انخراط دول عربية في مسار السلام بعثر أوراق الرئيس ذي التوجه الإسلامي الذي استمر طوال سنوات في القطعية العربية - الإسرائيلية لتحقيق مكاسب اقتصادية وجيوسياسية وعسكرية لترسيخ نفوذه إقليمياً. ومع إعلان دولة الإمارات والبحرين والسودان ثم المغرب تباعاً تطبيع علاقاتها مع تل أبيب، انخرط الإسلاميون في حملات تنديد وتشويه ممنهجة طالت قادة هذه الدول وحكوماتهم، فيما انقلب الذم إلى تبرير عندما تعلق الأمر بحاضنتهم الإقليمية تركيا.

وإلى مفتي ليبيا المعزول الصادق الغرياني مؤخراً إلى مقاطعة دولة الإمارات زماناً مع تصريحات أردوغان بشأن نيته تنمية علاقته مع إسرائيل. ودعا الغرياني، المقيم في تركيا، في ظهوره الأسبوعي عبر قناته "التناصح" إلى مقاطعة سلع البلدان التي وصفها بالمطبعة مع إسرائيل وعلى رأسها الإمارات لأن "صناعات الكيان الصهيوني تُصدّر الآن باسم شركات إماراتية" حسب زعمه.

وكانت أنقرة وتل أبيب توصلتا إلى اتفاق لتطبيع علاقاتهما بعد خلاف استمر 6 أعوام بسبب الهجوم الإسرائيلي على "أسطول الحرية" والذي راح ضحيته 10 من الناشطين الأتراك. وقالت حماس إنها "تتطلع إلى مواصلة تركيا لدورها في دعم القضية الفلسطينية وإنهاء الحصار بشكل كامل".

أما عندما تعلق الأمر بتطبيع دولة الإمارات لعلاقتها مع تل أبيب، اعتبرت حماس أن الخطوة تمثل "طعنة غادرة لتضحيات شعبنا الفلسطيني". وقال عبداللطيف القانوع، الناطق باسم الحركة آنذاك إن "الاتفاقية تمثل تجاهلاً لمعاناة شعبنا الفلسطيني وتطوراً خطيراً في وتيرة التطبيع". وتكشف مواقف الحركة من نفس القضية ازدواجية المعايير لدى الجماعات الإسلامية، فالتطبيع التركي محمود ويقابل بعبارات الشكر والثناء أما انخراط الدول العربية في هذا المسار فهو "خيانة" و"طعنة في الظهر".

ويرى مراقبون أن هذا السلوك يكشف أزمة حقيقية داخل جماعات الإسلام السياسي تذر بتفككها وعزلتها داخل محيطها، بعد أن وضعت أهم المبادئ التي بنيت عليها قيد "السمسة السياسية" خدمة للأجندات التركية. فالجماعة نفسها تقوم بالتحريض على الدول العربية إذا ما اتخذت قراراً سيادياً سيكون من شأنه أن يساعد الفلسطينيين على نيل حقوقهم من غير اللجوء إلى مواقف متشددة أثبت التاريخ أنها لن تقود الفلسطينيين إلا إلى المزيد من الخسائر على حساب قضيتهم.

وكان التعاون العسكري بين البلدين لعقود في زروته منذ سيطرة القوات التركية على شمال قبرص في عام 1974. وتطوّر الأسلحة.

وكان التعاون العسكري بين البلدين لعقود في زروته منذ سيطرة القوات التركية على شمال قبرص في عام 1974.



تطبيع تركي يخرس السنة قادة حماس

الصادق الغرياني
أردوغان ولي أمر
المسلمين، فقاطعوها
بضائع الدول المطبعة